عنوان المداخلة: التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم وأثره في تنزيل النص القرآني على الواقع – دراسة تأصيلية تطبيقية على المفسرين المعاصرين– .

عنوان الملتقى الوطني: تنزيل النص الشرعي على الواقع في ضوء العلوم الإنسانية والاجتماعية ودوره في تطوير البحث في العلوم الإسلامية .

إعداد: د: هشام شوقي .

الرتبة: أستاذ محاضر أ .

المؤسسة الجامعية: جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة للعلوم الإسلامية .

البريد الإلكتروني: chougi_19@hotmail.fr .

رقم الهاتف: 0553550006 .

تاريخ انعقاد الملتقى: 11 مارس 2020 .

مكان انعقاد الملتقى: جامعة عمار ثليجي الأغواط .

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام وعلى رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه أما بعد:

فمما لا شك فيه أن شريعة الإسلام شريعة حيّة تواكب كل زمان بحسب مستجدّاته فتعطي الحلول لكلّ مشاكله والإجابات لكلّ تساؤلاته، ولكن ذلك مقترن بشرط حسن الاستنباط والتنزيل على الواقعة، وذلك في الوحيين القرآن الكريم والسنة النبوية .

والذي يهمنا في هذا المقام هو القرآن الكريم؛ حيث تسمى هذه العملية التي يقوم بها المفسر بـ "تنزيل الآيات على الواقع" وهي نوع من الدراسات القرآنية المعروفة التي قام بها المفسرون قديما وحديثا، غير أنها ظهرت في العصر الحاضر بشكل ملفت مواكبة لظهور كوكبة من المصلحين والمجددين الذين نهجوا في التفسير منهجا عرف في حقل الدراسات القرآنية المعاصرة بـ "الاتجاه الاجتماعي في التفسير" والذي يقوم أساسا على محاولة التوفيق بين القضايا الإسلامية وقضايا العلوم الإنسانية المعاصرة، ولذلك حاول هؤلاء أن يعالجوا من خلاله جميع المشاكل التي تعاني منها مجتمعاتهم سواء في الجانب التربوي أو الاقتصادي أو الديني أو غيرها من المشاكل، فراحوا يطبقون الأفكار القرآنية على المتغيرات الاجتماعية ومستجدات العصر الحديث ومتطلباته، فكانوا يصفون المشكلات ويحاولون ربطها بمعاني القرآن الكريم، وإيجاد الحلول لها من خلال تنزيلها على تلك الأحداث .

وقد حاولنا في هذه المداخلة أن نسلط الضوء على هذا الموضوع ببيان العلاقة بين منهج التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم وتنزيل الآيات القرآنية على الواقع الذي يعيشه المفسر، وذلك من خلال الإجابة على التساؤلات الآتية: ما المقصود بالتفسير الاجتماعي ؟ وماهي أسسه، وماهي ضوابط تنزيل الآيات القرآنية على الواقع؟، ومن هم أبرز من قام بهذه العملية في العصر الحديث مع أمثلة تطبيقية من تفاسيرهم؟ .

كل هذه التساؤلات سيجد له القارئ إجابة في هذه المداخلة التي جمعت بين الجانبين النظري والتطبيقي، والتي قسمناها إلى مبحثين هما:

المبحث الأول: مقدمات تأصيلية حول التفسير الاجتماعي للقرآن وتنزيل الآيات على الواقع .

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لتنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين المعاصرين .

وتفصيل ذلك كما يلي:

المبحث الأول: مقدمات تأصيلية حول التفسير الاجتماعي وتنزيل الآيات على الواقع.

المطلب الأول: تعريف التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم:

ظهر هذا الاصطلاح في العصر الحاضر مواكبا لتصنيف الدراسات القرآنية، ولذلك فقد اختلف الباحثون المعاصرون في تسميته وتعريفه، ومن أبرز من تحدث عن ذلك:

1- الدكتور محمد حسين الذهبي: حيث سماه بـ "اللون الأدبي الاجتماعي" وذلك في كتابه التفسير والمفسرون وعرفه بقوله :"إن هذه المدرسة نهجت بالتفسير منهجا أدبيا اجتماعيا فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه

وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت ما فيه من سنن الكون الأعظم ونظم الاجتماع وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية خاصة، ومشاكل الأمم عامة بما أرشد إليه القرآن من هداية وتعاليم جمعت بين خيري الدنيا والآخرة، ووفقت بين القرآن وما أثبته العلم من نظريات صحيحة، وجلت للناس أن القرآن هو كتاب الله الخالد الذي يستطيع أن يساير التطور الزمنى والبَشرى إلى أن يرث الله الأرض ومَن عليها، ودفعت ما ورد من شُبَه على القرآن، وفنَّدت ما أُثير حوله من شكوك وأوهام، بحجج قوية قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق ... كلّ هذا بأسلوب شيّق جذّاب يستهوي القارئ، ويستولى على قلبه، ويُحبّب إليه النظر في كتاب الله، ويُرَغبه في الوقوف على معانيه وأسراره" [1] .

والناظر لهذا التعريف يلحظ تركيز الدكتور الذهبي على جانبين هما: مقصد التفسير الاجتماعي وهو: الإصلاح، وأسلوبه وهو: السهولة واليسر .

2- الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي: في كتابه" تعريف الدارسين بمناهج المفسرين"، حيث سماه بـ "الاتجاه الاجتماعي في التفسير"، وجعله من بين اتجاهات التفسير في العصر الحديث وعرفه باعتبار وظيفته فقال :" يركز صاحب التفسير ذي الاتجاه الاجتماعي على مجتمعات المسلمين، ويحرص على إصلاح تلك المجتمعات على أساس القرآن ويعالج أمراض ومشكلات المجتمع المختلفة ويقدم السنن الاجتماعية الكفيلة برقي المجتمعات وتقدمها" [2] .

3- الدكتور محسن عبد الحميد: حيث تحدث عن هذا الاتجاه فعرّفه وبين مقصده بقوله:" بيان سنن الله في الخلق ونظام الاجتماع البشري وأسباب ترقي الأمم وتدلّيها وقوتها وضعفها"،

و يجعل الدكتور محسن عبد الحميد العمل الذي قام به رشيد رضا من أهم ما استند عليه الاطلاع على تواريخ الأمم وقواعد العمران ونواميس الحياة والاستفادة من الدراسات الانسانية الحديثة " [3] .

4- الدكتور أيازي: في كتابه (المفسرون حياتهم ومنهجهم)، حيث عرف التفسير الاجتماعي على نحوين، يعتمد كل منهما على الأسلوب الذي يتبعه المفسر في عملية التفسير، فقال:

أ. التفسير برؤية اجتماعية:

التفسير الاجتماعي هو تفسير الآيات وتبيين المفاهيم القرآنية من زاوية اجتماعية ناظرة إلى الأبعاد الوجودية للإنسان وتغيرات المجتمع والأهداف التربوية والإصلاحية وتشريع القوانين، ويسعى المفسر الاجتماعي إلى إيجاد حلول بالاعتماد على فهمه للمتطلبات الفردية والاجتماعية عبر المفاهيم القرآنية.

ب. التفسير المبني على أساس اجتماعي علمي:

التفسير الاجتماعي يسعى – بالإضافة إلي تبيين المسائل الاجتماعية المذكورة في القرآن الكريم – إلى كشف الأصول والقواعد والسنن التاريخية والاجتماعية في القرآن الكريم، وفي هذا الاتجاه التفسيري، يحاول المفسر

---

[1] التفسير والمفسرون – د. محمد حسين الذهبى، ناشر الكتاب: وزارة الأوقاف السعودية، سنة النشر: 1431 – 2010. (5/ 25) .

[2] تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، سنة: 1429هـ/2008 . ص 568 .

[3] مقال بعنوان: الاتجاه الاجتماعي في التفسير ودوره في تأصيل العلوم الاجتماعية ، الدكتور مولاي عمر بن حماد، مقال منشور في ملتقى اهل التفسير .بتاريخ: 2008/02/23 .

إيجاد انسجام في العلاقة بين الأهداف الدينية والأهداف الاجتماعية والعلوم الإنسانية" [1] .

ومن خلال التعاريف السابقة، نعرف أن الاتجاه الاجتماعي في تفسير القرآن الكريم إنما كان غرضه ومقصده الحرص على مداواة أمراض المجتمعات الإسلامية المعاصرة، موجهاً لها نحو التمسك بالشريعة وإقامة حكم الله فيها، مبيناً محاسن الدين ومعايب الجاهلية وأخلاقها ونظمها، ويمتاز هذا الأسلوب من التفسير بمحاولة التوفيق بين القضايا الإسلامية وقضايا العلوم الإنسانية المعاصرة ، كما يمتاز بالأسلوب الأدبي المبسط الذي يفهمه كل قارئ لأن هذا التفسير موجه أساسا لعموم المسلمين على اختلاف مستوياتهم .

ولا يخفى ما لهذا الأمر من أبعاد عديدة، فمن جهة يجب تطبيق الأفكار القرآنية على المتغيرات الاجتماعية ومستجدات العصر الحديث ومتطلباتها، ومن جهة أخرى يجب طرح حلول واضحة بهدف إيصال المجتمع الإسلامي إلى أعلى قمم الموفقية والسعادة والفلاح .

المطلب الثاني: أسس التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم:

يقوم التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم على أسس يشترك في بعضها مع غيره من الاتجاهات التفسيرية ، ويختص ببعضها نظرا لطبيعته وما فيه من الخصوصيات؛ وسأذكر في هذا المقام الأسس التي يختص بها هذا الأسلوب كما ذكرها الدكتور فهد الرومي في كتابه اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهو أحسن من عددها فجعلها عشرة ملخصها كما يلي:

الأساس الأول: الوَحْدَة الموضوعية في القرآن الكريم:

والوحدة الموضوعة عرّفها د: محمد حجازي بقوله: البحث عن القضايا الخاصة التي عرض لها القرآن في سوره المختلفة، ليظهر ما فيها من معان خاصة تتعلّق بالموضوع العام الذي نبحثه لنحقّق الهدف وهو: الوحدة الموضوعية [2] .

ومما دل على أن الوحدة الموضوعية من أسس التفسير الاجتماعي ما قاله رائد هذا الاتجاه: محمد رشيد رضا حيث قال: "مَن نظر في ترتيب السور كلها في المصحف يرى أنه قد رُوعي في ترتيبها الطول والتوسط والقصر في الجملة، ومن حكمته أن في ذلك عونًا على تلاوته وحفظه، فالناس يبدءون بقراءته من أوله فيكون الانتقال من السبع الطوال إلى المئين فالمثاني فالمفصل أنفى للملل وأدعى إلى النشاط، ويبدءون بحفظه من آخره؛ لأن ذلك أسهل على الأطفال؛ ولكن في كل قسم من الطوال والمئين والمفصل تقديمًا لسور قصيرة على سور أطول

---

[1] مقال بعنوان: العلامة الشيخ محمد عبده و الإتجاه الإجتماعي فى تفسير المنار الدكتورة معصومة حسيني ميرصفي*، ، مقال منشور في موقع "تقريب"، بتاريخ: ١١ كانون الأول ٢٠١١ .

[2] ينظر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،د: فهد بن عبد الرحمن الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 1406/8/5، ط: 1، سنة: 1407هـ- 1986م ، (717/2-724) .

منها، ومن حكمة ذلك أنه قد رُوعي التناسب في معاني السور مع التناسب في الصور؛ أي: مقدار الطول والقصر" [1] .

الأساس الثاني: الوَحْدَة الموضوعية في السورة القرآنية:

وهذا الأساس جزء من الذي قبله غير أنه يختص بسورة واحدة، وقد تحدث عن هذا الأساس الشيخ: عبد العزيز جاويش، وبين أهميته بقوله: "قد يغفل المفسر عمَّا بين آيات القرآن من الارتباط والتناسب، وما قد يفيد بعضها بعضًا من البيان أو التقييد؛ فيأخذها بالتأويل مفككة العرى مبددة النظم، حتى إذا استعصى عليه أمرها ونبا عقله عن فَهْمِها، لا يزال يركب في تأويلها صعاب المراكب، ويلتمس بلوغ معانيها بتسنم الجبال وقطع السباسب، وقلما سلمت أقدامهم من العثار أو استطاعوا إبراز ما فيها من الآثار"[2] .

الأساس الثالث: تحكيم العقل في التفسير:

يقول محمد عبده في بيان أهمية إعمال العقل في العملية التفسيرية: "الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل العلم، فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي، والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح، فقد أقامك منه على سبيل الحجة وقاضاك إلى العقل، ومن قاضاك إلى حاكم فقد أذعن إلى سلطته، فكيف يمكنه بعد ذلك أن يجوز أو يثور عليه؟!" [3] .

الأساس الرابع: إنكار التقليد وذمه والتحذير منه:

لأن هذا الأساس هو الذي يحث المفسر ويدفعه إلى الاستنباط والربط بين معاني الكتاب والواقع المعاش، يقول الإمام محمد –أستاذ المدرسة ورائدها– يقول: "ثم لم ألبث بعد قطعة من الزمن أن سئمت الاستمرار على ما يألفون، واندفعت إلى طلب شيء مما لا يعرفون؛ فعثرت على ما لم يكونوا يعثرون عليه، وناديت بأحسن ما وجدت ودعوت إليه، وارتفع صوتي بالدعوة إلى أمرين عظيمين؛ الأول: تحرير الفكر من قيد التقليد، وفَهْم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله؛ لترد من شططه، وتقلل من خلطه وخبطه، وقد خالفت في الدعوة إليه رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منها جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومَن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومَن هو في ناحيتهم"[4] .

الأساس الخامس: التقليل من شأن التفسير بالمأثور:

وذلك لما دخله من ضعيف وموضوع، وفي ذلك يقول الشيخ أحمد مصطفى المراغي في بيان منهجه في التفسير: "ومن ثم رأينا ألا نذكر رواية مأثورة إلا إذا تلقاها العلم بالقبول، ولم نرَ فيها ما يتنافر مع قضايا الدين

---

[1] تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، تأليف:محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م . (7/ 240) .

[2] أسرار القرآن: عبد العزيز جاويش ص117.، نقلا عن اتجاهات التفسير للرومي .

[3] الإسلام والنصرانية: محمد عبده ص72، 73. نقلا عن اتجاهات التفسير للرومي .

[4] تاريخ الأستاذ الإمام: محمد رشيد رضا ج1 ص11. نقلا عن اتجاهات التفسير للرومي .

التي لا خلاف فيها بين أهله، وقد وجدنا أن ذلك أسلم لصادق المعرفة، وأشرف لتفسير كتاب الله، وأجذب لقلوب المثقفين ثقافة علمية لا يقنعها إلا الدليل والبرهان ونور المعرفة الصادقة" [1] .

الأساس السادس: التحذير من التفسير بالإسرائيليات:

يقول الشيخ عبد العزيز جاويش محذرا من الإسرائيليات: "هذا وليحذر المسلمون قراءة ما جاء في تفاسير القرآن في هذا الموضوع من الإسرائيليات، وما ابتدعه أصحابها من التأويلات وغريب الروايات، فإنها مضلة للعقول، مبعدة لها عما قصده كتاب الله الحكيم"[2].

الأساس السابع: القرآن هو المصدر الأول في التشريع:

يقول الأستاذ محمد عبده في هذا الأساس: "وأريد أن يكون القرآن أصلًا تحمل عليه المذاهب والآراء في الدين، لا أن تكون المذاهب أصلًا والقرآن هو الذي يحمل عليها، ويرجع بالتأويل أو التحريف إليها، كما جرى عليه المخذولون وتاه فيه الضالون" [3] .

الأساس الثامن: الشمول في القرآن الكريم:

وهذا من أهم الأسس التي دندن حولها رواد هذه المدرسة، لأن القرآن لا يختص بقوم أو زمان بل ألفاظه عامة لجميع العالمين إلا ما دل الدليل على خلافه، وفي هذا يقول الشيخ رشيد رضا:" فإن كان مات مَن كانوا سبب النزول فالقرآن حتى لا يموت ينطق حُكْمَه ويحكم سلطانه على الناس في كل زمان" [4] .

الأساس التاسع: التحذير من الإطناب:

لأن الإطناب يشغل عن مقصود القرآن وهو التدبر، يقول الشيخ محمود شلتوت في حديثه عن البحث في فَهْم فواتح السور: "ولعل من الخير للناس أن يوفروا على أنفسهم عناء البحث في معاني هذه الحروف وأسرار ترتيبها واختيارها على هذا النحو، وأن يكفوا عن الخوض فيما لا سبيل إلى علمه ولم يكلفهم الله به، ولم يربط به شيئًا من أحكامه أو تكاليفه" [5] .

الأساس العاشر: الإصلاح الاجتماعي:

وبلغت منزلة هذا الأساس ودرجتُه عند رجال المدرسة العقلية الاجتماعية أن أصبح كالأساس الثالث –تحكيم العقل– صفة من صفاتهم التي بها يُعرفون وإليها يُنسبون؛ حتى أضيف إلى اسم المدرسة؛ فعرفت بالمدرسة العقلية الاجتماعية .

---

[1] تفسير المراغي، تأليف: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1، سنة: 1365 هـ – 1946 م . (1/ 19) .

[2] أسرار القرآن: عبد العزيز جاويش ص138. نقلا عن: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 756) .

[3] فاتحة الكتاب: محمد عبده ص46. نقلا عن: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 766) .

[4] تفسير المنار، رشيد رضا (1/ 129) .

[5] تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت ص61، نقلا عن اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر (2/ 773) .

ذلكم أن رجال المدرسة وهم يواجهون أو يعاصرون يقظة العالم الإسلامي الذي انبهرت طائفة منه بمعالم الحضارة الغربية اتجهوا كغيرهم من المصلحين إلى تلمس السبيل الأمثل لإصلاح المجتمع الإسلامي وَفْقَ أحكام الشريعة الإسلامية؛ بحيث تسبق هذه الأمة أمة الغرب أو تلحق بها مع التزامها لمبادئ دينها .

وقد جد رجال المدرسة العقلية الاجتماعية في أن يلتزموا عند تفسير كل آية ما يتعلق بالإصلاح الاجتماعي، ويتخذوا منها مدخلًا إلى الإصلاح؛ حتى وُصف أستاذ هذه المدرسة محمد عبده ضمن أوصافه بـ"المصلح الاجتماعي"[1] .

المطلب الثالث: أهم رواد مدرسة التفسير الاجتماعي في العصر الحديث:

سلك هذا المسلك في التفسير مجموعة لا بأس بها من العلماء المعاصرين ، فمنهم من له تفسير كامل للقرآن الكريم وفق هذا المنهج، ومنهم من فسر مجموعة من الآيات طبق فيها هذا المنهج، ومن هؤلاء العلماء:

1- رائد هذه المدرسة الأول وزعيمها وعميدها ، هو الأستاذ: الشيخ محمد عبده ، الذي بنى أساس هذا البنيان الرفيع ، ثم سار على منهجه مجموعة من الأجلاء من تلامذته من أبرزهم الشيخ: محمد رشيد رضا، وقد نشرت أعمالهم في مجلة المنار، ويعرف اليوم التراث التفسيري لهما بـ "تفسر المنار" .

2- الأستاذ عبد القادر المغربي، وذلك في تفسير جزء تبارك وقام بالتعليق عليها بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالقاهرة الأستاذ علي محمد حسب الله، وراجع التفسير الشيخ عطية صقر من علماء المراقبة العامة للثقافة بالأزهر .

3- الشيخ محمود شلتوت، الذي قام بتفسير "الأجزاء العشرة الأولى" القرآن الكريم، وفق هذه الطريقة .

4- الأستاذ محمد فريد وجدي، في تفسيره "المصحف المفسر"، وهو تفسير مختصر كامل للقرآن الكريم في مجلد واحد كبير الحجم .

5- الشيخ أحمد مصطفى المراغي، من خلال تفسيره الذي يعرف بـ "تفسير المراغي"، وهو تفسير كامل للقرآن الكريم، ويقع في عشرة مجلدات .

6- تفسير ابن باديس "مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير"، وهو دروس في التفسير ألقاها الشيخ في المسجد الأخضر بقسنطينة، جمع بعضها وطبع في مجلد واحد .

7- محمد المبارك عبد الله، في تفسير جزء عم. وعدد صفحاته 222 من الحجم الكبير .

8- سيد قطب، في تفسيره "في ظلال القرآن"، وهدفه ربط الآيات بالواقع بأسلوب أدبي .

المطلب الرابع: مقدمة عامة حول مسألة "تنزيل الآيات الواقع":

أ- تعريف " تنزيل الآيات على الواقع" : بيان معنى "تنزيل الآيات على الواقع": هو محاولة المفسر ربط معنى الآية القرآنية بما يقابلها من الأحداث الواقعة في المجتمع زمن تفسيره لكتاب الله، وذلك للسير وفق التوجيهات الربّانيّة في القضية محلّ الدراسة .

ب- أنواع "تنزيل الآيات على الواقع": ينقسم تنزيل المفسرين للآيات على واقعهم إلى نوعين:

---

[1] اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي (2/775- 779) .

الأول: التصريح: وهو أن يصرح المفسر بأن معنى الآية حاصل في زمانه، فيربط واقعه بمعنى الآية صراحة كأن يقول " كما هو حاصل في زماننا" أو غير ذلك من العبارات المصرحة بهذا المعنى .

الثاني: التلميح: وهو أن يشير المفسر إلى أن معنى الآية حاصل في زمنه دون أن يصرح بذلك، بل يورده على سبيل التعريض أو التلميح، والسبب هو الحالة السياسية التي تسود زمن المفسر فلا يتمكن من التصريح خشية الفتنة والأذى.

ج- "فوائد تنزيل الآيات على الواقع" :

تعتبر قضية "تنزيل الآيات على الواقع" بالنسبة للمفسر من الأهمية بمكان، وذلك يتجلى من خلال ما يلي:

1 . توثيق أبرز الأحداث التاريخية في عصر المفسر .

2 . معرفة موقف المفسر من الأحداث التي كانت تدور في زمانه .

3 . تقريب معنى الآية من أذهان الناس حتى يفهموها فهما سليما لأنها مرتبطة بواقعهم .

4 . ربط المسلم بكتاب الله تعالى، والسير وفق التوجيهات الربانيّة في القضايا التي تدور في حياته للوصول إلى بر الأمان في الدنيا و الآخرة .

5 . التعرف على طرف من سيرة المفسر، وذلك من خلال نثره لشيء من مذكراته الشخصية، وبعض المواقف التي حدثت له، محاولا ربطها بمعاني كتاب الله تعالى[1] .

د- أهم الضوابط التي يجب مراعاتها في تنزيل الآيات على الواقع ليكون التنزيل صحيحا:

هناك عدة ضوابط ينبغي للمفسر أن يراعيها إذا أراد ربط معنى الآية بواقعه ربطا صحيحا، وإلا فسر الآية بغير معناها، ومن هذه الضوابط:

1 . سلامة المقصد في تنزيل الآية: وذلك بالتجرّد عن العصبية المذهبية عقدية كانت أو فقهية أو سياسية، فإذا لم يتّصف المفسر بذلك وحاول ربط الآية بواقعه لنصرة مذهبه المنتمي إليه، فإنه يقع في التخبّط ويحاول أن يتكلّف معاني بعيدة عن مقصود الآيات لينصر بها مذهبه فيقع حينئذ في الخطأ والزّلل .

2 . مراعاة معنى سبب نزول الآية: لأن سبب النزول هو المعين على فهم معنى الآية ومن ثَمَّ يقدر المفسر على تصوّر معناها واستحضار الأحداث والمواقف المشابهة لها مما يدور في زمانه، فإن لم يراع المفسر سبب النزول فإنه يقع في الخطأ .

3 . معرفة السياق الذي وردت فيه الآية: لأن مراعاة السياق الذي وردت فيه الآية وسباقها ولحاقها، مما يعين المفسر على فهم المعنى الصحيح للآية ومن ثم القدرة على ربطها بالواقع، فمثلا إذا كانت الآية في سياق الحديث عن مشاهد يوم القيامة وأهواله، فإنه لا يصح أن تنزل على أحوال الدنيا لما بينهما من الفوارق .

---

[1] تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين –دراسة وتطبيق–، عبد العزيز الضامر، ط:1، سنة: 1428هـ/2007م، بيروت . ص: 71–82 .

4 . أن يكون المفسر متبصّرا بأحوال الواقع المعاصر له: وذلك ليتمكّن من ربط الآية بواقعه وتصوير القضية تصويرا صحيحا ثم معالجتها في ضوء التوجيهات الربانية، أما إذا لم يكن متصوّرا لما يدور حوله من قضايا وأحداث أو يكون تصوره لها قاصرا، فإن تنزيله للآية يكون قاصرا كفهمه .

5 . أن يكون التنزيل مندرجا تحت أصل الآية: فلا يجنح المفسّر إلى تفسير الآية تفسيرا معاصرا مستقلا بذاته دون الرجوع إلى معنى الآية الذي بيّنه النبي ﷺ والصحابة والتابعون، ويدّعي أن ما حدث في الواقع المعاصر هو الذي ينبغي أن تنزل عليه الآية دون غيره، وقد يذمّ تفاسير السلف وينعتها بالقِصَر ، كما يحتاج المفسر لتحقيق ها الضابط إلى معرفة اللسان العربي الذي نزل به القرآن معرفة واسعة صحيحة[1] .

المبحث الثاني: أمثلة تطبيقية لتنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين المعاصرين .

وسأذكر في هذا المبحث أمثلة تطبيقية لمجموعة من المفسرين الذين اشتهروا بتنزيل الآيات القرآنية على الواقع وفق منهج التفسير الاجتماعي، وذلك كما يلي:

المطلب الأول: رشيد رضا (ت: 1354هـ):

والمواضع التي نزّل فيها الأستاذ آيات قرآنية على الواقع كثيرة جدا، أكتفي منها بذكر موضعين أحدهما في الجانب الاقتصادي والآخر في الجانب التربوي، هما:

1 – الحث على الرجوع للنظام الإقتصادي الإسلامي وخطر تركه: حيث حث رشيد رضا على ضرورة رجوع الأمة إلى العمل بالنظام المالي في الإسلام وبين فضله ومحاسنه، وفي المقابل حذر من مساوئ الأنظمة الأخرى المستمدة من الأديان المحرفة أو العلمانية المخترعة، وذلك لما فسر قول الله تعالى :" **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم" (التوبة:103)**، فقال " والحق أن الإسلام هو الدين الوسط الجامع بين مصالح الرُّوح والجسد للسيادة في الدنيا والسعادة في الآخرة، فهو وسط بين اليهودية المالية الدنيوية والنصرانية الروحية الزهدية، وأن من مقاصده الإصلاحية في الاجتماع البشري هداية الناس إلى العدل والفضل في أمر المال؛ ليكتفي الناس شر طغيان الأغنياء وذلة الفقراء، ونصوص القرآن والسنة في هذا هي الغاية القصوى في الإصلاح، وهي هادمة لمزاعم هؤلاء المفتاتين على الإسلام بالجهل والهوى .

غلا عباد المال من اليهود والإفرنج في جمعه واستغلاله واستعباد الألوف وألوف الألوف من العمال الفقراء به بجعله دُولَة بينهم، وغلا خصومهم من الاشتراكيين في مقاومتهم ومحاولة جعل الناس فيه شرعًا وجعله بينهم حقًّا شائعًا، فانتهى هذا الغلو بالشيوعية الروسية في عصرنا أن استعبدت أكثر من مائة ألف من البشر، تسخرهم في تنفيذ مذهبها كالأنعام والدواب .

ولا منقذ للأمم من هذه الفتنة وعواقبها إلا بدين الإسلام – أعني: بالتدين به والعمل بأحكامه المالية وغيرها – ولا يمكن التزامها بالعمل إلا بإذعان الدين، وقد بدأ عقلاء الإفرنج يشعرون بالحاجة إلى دين معقول يصلح بالتزامه فساد هذه المدينة المادية، ولن يجدوا حاجتهم إلا في دين القرآن وسنة خاتم النبيين عليه الصلاة

[1] المرجع السابق، ص89–98 .

والسلام، وأخشى ألا يهتدوا إليه إلا بعد البطشة الكبرى والطامة العظمى؛ وهي حرب التدمير المنتظرة من تنازع البلشفية والرأسمالية، وإنني أذكر هنا أهم أصول الإصلاح الإسلامي في المسألة المالية التي تبتدر فكري وتبدهه فأقول ... "[1] .

ثم ذكر الأستاذ: رشيد رضا ما يراه من الأصول الإسلامية لإصلاح المسألة المالية، فعدّ منها: إقرار الملكية الشخصية، وتحريم أكل أموال الناس بالباطل، وتحريم الربا والقمار، ومنع جعل المال دولة بين الأغنياء، والحجر على السفهاء في أموالهم حتى لا يضيعوها، وفرض الزكاة، وفرض نفقة الزوجية والقرابة وجعل بذل المال كفارة لبعض الذنوب، وندب صدقات التطوع والترغيب فيها، وذم الإسراف والتبذير والبخل والشح وإباحة الزينة بشرط اجتناب الإسراف، ومدح القصد والاعتدال في النفقة على النفس والعيال، ثم قال بعد هذا كله : "أرأيت أمة من الأمم تقيم هذه الأركان ويوجد فيها فقر مدقع أو غرم موجع أو شقاء مفظع؟ " [2] .

وفي موضوع ذي صلة حث على التوسط في النفقة والنهي عن تبذير المال الذي شاع في مجتمعه، وذلك لما فسّر قوله تعالى "**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما [الفرقان:67]**، حيث تحسّر على حال المسلمين وبعدهم عن دينهم في الجانب الاقتصادي فقال: "فماذا جرى لنا –نحن المسلمين– بعد هذه الوصايا والحكم حتى صرنا أشد الأمم إسرافًا وتبذيرًا، وإضاعة للأموال وجهلًا لطرق الاقتصاد فيها وتثميرها، وإقامة مصالح الأمة بها في هذا الزمن الذي لم يسبق له نظير في أزمنة التاريخ؛ من حيث توقف قيام مصالح الأمم ومرافقها وعظمة شأنها على المال؛ حتى إن الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد التي ليس في أيديها مال كثير قد صارت مستذلة ومستعبدة للأمم الغنية بالبراعة في الكسب والإحسان في الاقتصاد" [3] .

ثم يصف الأستاذ السبب في ذلك فيقول " الذين لبَّسوا علينا بلباس الصالحين؛ فنفثوا في الأمة سموم المبالغة في التزهيد، والحث على إنفاق جمع ماتصل إليه اليد؛ وإنما كان يريد أكثرهم إنفاق كسب الكاسبين عليهم، وهم كسالَى لا يكسبون لزعمهم أنهم بحب الله مشغولون" [4] .

2- في الجانب التهذيبي التربوي، حيث تحدث الأستاذ عن قضية بخس الناس أشياءهم لما فسر قوله تعالى **{وَلا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ} (الشعراء:183)** ، وربط بين معنى الآية وبين ما هو واقع في زمانه من بخس للناس أشياءهم وعدم جعلهم في مرتبة واحدة في المعاملات ونهى عن ذلك وحث على إصلاحه فقال: "وهذه النقيصة فاشية بين الأمم والشعوب في هذا العصر؛ فنجد بعضهم يذم بعضًا وينكر فضله كالأفراد، وترى التجار في عواصم أوربا يغالون من الأسعار للغرباء ما يرخصون لأهل البلاد، وترى بعض الغرباء يستحلون من نهب أموال المصريين بضروب الحيل والتلبيس ما لا يستحلون مثله في معاملة أبناء جلدتهم، وأما المصريون وأمثالهم من الشرقيين كما قال الشاعر:

لكن قومي وإن كانوا ذوي عدد ... ليسوا من الشر في شيء و إن هانا

---

[1] تفسير المنار (11/ 24) .

[2] تفسير المنار (11/ 26) .

[3] تفسير المنار (4/ 313) .

[4] تفسير المنار (4/ 314) .

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة ... ومن إساءة أهل السوء إحسانا

ويا ليتهم يعاملون أنفسهم ومَن تجمعهم معهم أقوى المقومات هذه المعاملة؛ بل يكثر منهم مَن يبخسون أبناء قومهم وملتهم أشياءهم، ويهضمون حقوقهم، ويعظمون الأجنبي ويعطونه فوق حقه؛ وإنما استذلهم للأجانب حُكَّامهم، فَهُم في جملتهم مبخوسون لا باخسون، ومظلومون لا ظالمون، وهم على ذلك مذمومون لا محمودون، ومكفورون لا مشكورون" [1] .

المطلب الثاني: عبد الحميد بن باديس (ت: 1359هـ):

ويعتبر الإمام ابن باديس من أئمة هذا الاتجاه في العصر الحديث، لأنه فسر القرآن في زمن وجد فيه الاستعمار وحاول سلخ الأمة عن هويتها فتصدى لهم بعلمه، ولم يجد مرتعا مثل القرآن ليربط الأمة به، فراح يصف من خلال درسه التفسيري الداء والدواء ، ولهذا جاء تفسيره غنيا جدا بالتنزيلات القرآنية على الأحداث الاجتماعية، ومن تلك المواضع:

1- قضية خطباء الجمعة في زمانه، وما آل إليه حالهم من تنطّع في إلقاء الخطب، وعدم معالجة مواضيعها لواقع المسلمين وآفات المجتمع .

حيث ذمّ الإمام ابن باديس حال خطباء الجمعة في زمانه، بسبب تنطّعهم في الخطب لأنّهم يلقونها بأساليب صعبة الفهم لاشتمالها على ألفاظ غامضة، بالإضافة إلى أن مواضيعها بعيدة عن واقع الناس لا تتحدّث عن أمراضهم ومشكلاتهم لتجد لها الحلول، زد على هذا كلّه أنها خطب تشتمل على أحاديث منكرة أو موضوعة؛ فحذر ابن باديس الخطباء من هذه الحال المزرية وحثّهم على استغلال خطبة الجمعة في المقصد الشرعي الذي وضعت له وهو: وعظ الناس وحثهم على العمل الصالح وإيجاد الحلول لمشكلاتهم بأسلوب يفهمه الجميع، وذلك لما فسر قوله تعالى ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥﴾ النحل: ١٢٥، فقال:" **تحذير**: أكثر الخطباء في الجمعات اليوم في قطرنا يخطبون الناس بخطب معقدّة، مسجعة طويلة، من مخلّفات الماضي، لا يراعى فيها شيء من أحوال الحاضر وأمراض السامعين، تلقى بترنّم وتلحين، أو غمغمة وتمطيط، ثم كثيراً ما تختم بالأحاديث المنكرات، أو الموضوعات .

هذه حالة بدعية في شعيرة من أعظم الشعائر الإسلامية، سدّ بها أهلها باباً عظيماً من الخير فتحه الإسلام، وعطّلوا بها الوعظ والإرشاد وهو ركن عظيم من أركان الإسلام. فحذار أيها المؤمن من أن تكون مثلهم إذا وقفت خطيباً في الناس. وحذار من أن تترك طريقة القرآن والمواعظ النبوية إلى ما أحدثه المحدثون . ورحم الله أبا الحسن- كرم الله وجهه- فقد قال: "الفقيه كلّ الفقيه، من لم يقنّط الناس من رحمة الله، ولم يؤمّنهم من مكره، ولم يدع القرآن رغبة عنه إلى ما سواه" [2] .

---

[1] تفسير المنار، رشيد رضا، (8/ 469) .

[2] في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس، حققه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: 1416هـ/ 1995م . ص: 324 .

2 – قضية انقسام المسلمين إلى طائفتين متنازعتين كلّ منهما تدّعي أنّ الهداية في اتّباعها والالتزام بمنهجها: وهي من أكبر القضايا التي بذل فيها الدعاة المصلحون جهودهم، حيث اجتهدوا في بيان صفات الطائفة التي ينبغي للمسلم أن يكون منها، كما اجتهدوا في الرّدّ على الطوائف المنحرفة وبيان صفاتهم ليحذر المسلمون منهم، والإمام ابن باديس واحد من هؤلاء الدعاة المصلحين الذين سعوا إلى إرشاد الأمّة إلى برّ الأمان وطريق الصواب، فكان لزاما وحتما أن يتطرّق لهذه المسألة الكبيرة، فتطرّق لها بأسلوبه الخاص البديع، حيث قسّم الطوائف في العالم الإسلامي إلى طائفتين كبيرتين، وبيّن بعض صفات كلّ واحدة منهما واستدلّ على ذلك بآيات من القرآن الكريم، ثم ترك الحكم للمسلم البصير ليحكم أيّ الطائفتين أهدى من أختها، وقدم لذلك بقوله " تطبيق وتحاكم"، وذلك لمّا فسّر قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ

قال – رحمه الله –: " **تطبيق وتحاكم:** في العالم الإسلامي كلّه اليوم تَقۡدِيرًا ۝٢﴾ الفرقان: ١ - ٢، حيث طائفتان من المؤمنين ، يتنازعان خطة الهداية والنذارة والتذكير . ولكل منهما– في سلوكها للقيام بتلك الخطة– سبيل. وكلّ منهما تدّعي أنّها على الصواب، وأنّها الأحقّ والأولى بنفع العباد. فرأينا أن نطبّق فصل الفرقان عليهما، وننظر: كيف يفرق ما بينهما ومن هي المصيبة أو المخطئة. وفي ضمن ذلك تحاكمهما إليه وفصل النزاع بينهما بحكمه . وإنّما اخترناهما للتطبيق والتمثيل، لخطر الخطة التي تنازعا عليها، وعظيم النفع والضرر الذي يحصل من خطأ المخطئ، وصواب المصيب بها؛ ولأن الهداية والنذارة والتذكير أمور لها أنزل القرآن، فتنازعهما عليها تنازع عليه. فأحق فصل أن نمثل به لنعلم فصله هو بين المتنازعين فيه. وها نحن نعرض بعض حال كلّ طائفة في قيامها بالخطة، ثم نسوق آيات القرآن، وننظر من أسعد الطائفتين بها:

الطائفة الأولى: يُذَكّرون من يدعونهم بغير القرآن بأحزاب وأوراد من وضعهم، لا مما ثبت عن النبي ﷺ إلاّ قليلاً. ولهم عليهم في أموالهم حق في أوقات من السنة معلومة.

والطائفة الثانية: يُذَكّرون الناس بالقرآن فيأمرونهم بقراءته وتدبّره، ويبيّنون لهم معانيه، ويحثّونهم على التمسك به والرجوع إليه. ويدعونهم إلى الأذكار النبوية الثابتة في الكتب الصحاح، لرجوعها إلى القرآن لحكم قوله تعالى:" ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧﴾ الحشر: ٧، ولا يطلبون عليهم في ذلك أجراً. والله تعالى يقول في الحال الأول:" ﴿فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ۝٤٥﴾ "**قال تعالى:** ﷺ﴾ ق: ٤٥. وغيرها من الآيات المتقدمة في هذا المجلس. ويقول تعالى في الحال الثاني لنبيه ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ۝٥٧﴾ الفرقان: ، ٥٧، وقوله ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ الشورى: ٢٣. ويقول في آية صريحة صراحة تامة في بيان من يجب أن يُتَّبع من الدعاة:" ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ۝٢١﴾ يس: ٢١

لقوله تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي﴾. ومن هم المهتدون؛ هم المتبعون للنبي ﴿يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ١٥٨﴾ الأعراف: ١٥٨ . واتباعه بالنسبة لموضوعنا هو اتباعه في طريق دعوته الخلق إلى الله. وقد ثبت بالقرآن أنه كان يدعو بالقرآن، ويذكر به، وأنه لا يسأل على ذلك أجراً . بان- والحمد لله- بما ذكرنا حكم القرآن بين الطائفتين، واتّضح طريق الحق في الدعوة والإرشاد لمن يريد سلوكه منهما. والله نسأل لنا ولهم قبول الحق والتعاون عليه والقوة والإخلاص في الصدع به والثبات عليه ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلۡقَوۡلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ٢٧﴾ إبراهيم: ٢٧ [1] .

3 – قضية الإسراف والتبذير في الولائم والمآتم، التي شاعت في المجتمع الجزائري في عهد ابن باديس:

وهي من القضايا التي استغل ابن باديس تفسيره للقرآن للنهي عنها وتحذير المجتمع منها، قضية الإسراف والتبذير أثناء الولائم والمآتم وغيرها من المناسبات التي تجمع الناس، وألحق بذلك ما شاع في بعض المجتمعات الجبليّة من تقديسهم لشيوخهم من أصحاب الطرق بإقامة الولائم لهم ولو بالاستدانة، واستغلال الشيوخ لهذه المكانة في أكل أموال الناس بالباطل وأخذ ما عندهم وما ليس عندهم، فحذّر من هذا كلّه ونهى الناس عنه، واستغلّ تفسيره لآية من القرآن تتعلّق بهذا الموضوع بالخصوص، وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ الفرقان: ٦٧، فقال: "**تطبيق:** حالة وطننا في الأعم الأغلب في الولائم والمآتم لا تخلو من السّرف فيها، الذي يؤدّي إلى التّقتير من بعدها فيكون الإثم قد أصاب صاحبها بنوعيه، وأحاط به من ناحيتيه، والشرّ يجر إلى الشر، والإثم يهدي إلى مثله، وعلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين علّق كثير ممّن سمعناهم يشكون هذه الحالة آمالهم في معالجتها، خصوصاً في المآتم. حقّق الله الأمال .

وثم نوع آخر موجود في غالب القطر، وبكثرة في بعض الجبال . وهو أنّ بعض المأمورين من شيوخ الطوائف، يأتون بثلّة من أتباعهم، فينزلون على المنتمين إليهم من ضعفاء الناس، فيذبح لهم العناق إن كانت، ويستدين لشرائها إن لم تكن، ويفرغ المزاود، ويكنس لهم ما في البيت، ويصبح معدماً فقيراً مديناً، ويصبح من يومه صبيته يتضاغون، ويمسي أهل ذلك البيت المسكين يطحنهم البؤس، ويميتهم الشقاء ميتات متعدّدة في اليوم. وشرّ ما في هذا الشر أنه يرتكب باسم الدّين، ويحسبه الجهّال أنه قربة لرب العالمين: فأما إذا جاء وقت شد الرّحال إلى الأحياء والأموات، وتقديم النذور والزيارات، فحدّث هنالك عن أنواع السّرف والكلفات، والتضييع للحقوق والواجبات " [2] .

---

[1] مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ص: 155– 157

[2] المرجع نفسه ، ص: 218 .

المطلب الثالث: مصطفى المراغي (ت: 1371هـ):

وهو من رواد هذه المدرسة ولذلك ظهر تأثره بالتفسير الاجتماعي وإصلاح مجتمعه من خلال آي القرآن، فأخذ يستطرد في ربط معاني القرآن بمشاكل المجتمع ويبحث عن الحلول، ومن تلك المواضع: خطر المسكرات والمخدرات التي دمرت المجتمع، ولذلك فإنه حينما فسّر قوله تعالى: **{يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا} (البقرة:220)** ، بيّن خطورة هذه الآفة التي دمرت المجتمع وقضت عليه وهي: آفة المسكرات، فيبين حكمهما و مضارّها المتعددة ومنها: الصحية حتى قال أحد الأطباء: "اقفلوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات"، وأردف ببيان مضارها: العقلية والاقتصادية والأخلاقية ، فهي سبب مباشر في وقوع النزاع والخصام بين بعض السكارَى، وبينهم وبين مَن يعاشرهم لأدنى بادرة تصدر من واحد منهم، كما تحدث عن أضرارها الدينية والنفسية والسياسية والعسكرية، حيث تتسبب في إفشاء الأسرار، ولا سيما إذا كان متناولها متصلًا بالحكومات وسياسة الدول وشئونها العسكرية، فعليها يعتمد الجواسيس في نجاحهم في مهامهم التي ندبوا إليها .

وبعدها تحدّث عن مضار الميسر وأنه يُورث العداوة والبغضاء، ويصد عن ذكر الله، ويفسد الأخلاق، ويخرب البيوت بغتة . هذا في جانب معنى الآية .

وبعدها بدأ يربط بين معنى الآية وبين ما هو شائع في المجتمع المصري في عصره من المسكرات والمخدرات، منزلا الآية على واقعه ومبينا خطورة تلك الآفة وآثارها السيئة على الأمة فيقول: "وإذا استمر انتشار الخمر والزنا في هذه البلاد –ولا سيما الخمور التي تباع للفقراء، فهي مواد سامة محرقة "سبيرتو" يضاف إليها قليل من الماء والسكر– فليس بالبعيد أن تنقرض الأمة بعد جيلين أو أكثر كما انقرض هنود أمريكا، لا يبقى منهم إلا بعض الأجراء والخدم، فالسكر والزنا مقرضان يقرضان الأمم، وقد شاع حديثًا في مصر ما هو أفتك بالأمة من الخمور، وأقتل لها؛ وهو بعض السموم التي تستعمل حقنًا تحت الجلد أو شمًّا بالأنف كالمورفين والكوكايين والهروبين" [1] .

المطلب الرابع: أحمد شاكر (ت:1377هـ):

والشيخ أحمد شاكر من أهم من حارب العلمانية فقد وجد في مجتمع مصري متأثر بهذا الفكر الدخيل فشن حربا شعواء على الداعيين إلى الانسلاخ عن الدين الإسلامي، وكان يردّ عليهم بالمنقول والمعقول، ومن أكثر القضايا التي ردّ فيها أحمد شاكر على العلمانيين قضايا المرأة، والتي استدل كثر منهم ببعض الآيات القرآنية لتأييد أفكارهم فكان عليهم ويربط الآيات بالواقع، ومن تلك الردود والتنزيلات: قضية دعوى سقوط الولاية في النكاح: حيث إن الشيخ لما اختصر كلام ابن كثير في تفسير قوله تعالى تعالى " وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْا۟ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ" البقرة: ٢٣٢ ردّ على من أباح **نكاح المرأة بلا** ولي في عصره ، وتفطنّ إلى أن هذه الدعوى لم تكن مستندة لأدلة شرعيّة اقتنع بمدلولها هؤلاء، وإنما كانت لهوى في أنفسهم تأثّرا بالتيار التغريبيّ الذي ظهر في ذلك الزمان وكان من ضمن أصوله: الدعوة إلى

[1] تفسير المراغي (2/ 144) .

الحرية المطلقة للمرأة في جميع المجالات حتى في الزواج؛ فوجدوا في قول الأحناف مستندا لكلامهم فتمسّكوا به تبريرا لقولهم لا إحياء لأدلتهم، ومما ذكره فيه ابن كثير استدل بالآية على أن المرأة لا تملك أن تزوّج نفسها وأنه لا بد لها من ولي[1]، فذكر الشيخ أحمد شاكر بعد ذلك أدلة فقه حديث **(لا نكاح إلا بولي)** ووجه الدلالة منه ونقل كلام الترمذي فيه، ثم قال في آخره "وهذا بديهي واضح من معنى الآية وفقهها، لا يخالف في ذلك إلا جاهل أو ذو هوى وعصبية جامحة"[2] .

ثم إن الشيخ أحمد شاكر لم يكتف بذلك التقرير الفقهي المجرّد، بل استغلّ مناسبة تَحدُّث الآية عن موضوع الوليّ في صحة زواج المرأة، وأخذ يَربِط هذا المعنى بزمانه الذي شاعت الدعوة فيه إلى عدم اشتراط الولي، ثمّ توسع في ذلك فراح يبيّن شيئا من المفاسد التي ترتّبت على هذا القول الذي شاع في الأمة الإسلامية عموما والمصرية خصوصا، لعل كلامه يجد آذانا صاغية تتوّقف عن الدعوى إلى هذا القول، فقال –رحمه الله–:" وها نحن أولاء في كثير من بلاد الإسلام التي أخذت بمذهب الحنفية في هذه المسألة؛ نرى آثار تدمير ما أخذوا به للأخلاق والآداب والأعراض، ممّا جعل أكثر أنكحة النساء اللاتي ينكحن دون أوليائهن أو على الرغم منهنّ تضيع معها الأنساب الصحيحة .

وأنا أهيب بعلماء الإسلام وزعمائه في كلّ بلد وكلّ قطر، أن يعيدوا النظر في هذه المسألة الخطيرة، وأن يرجعوا إلى ما أمر الله به ورسوله من شرط الوليّ المرشد في النكاح، حتى نتفادى كثيرا من الأخطار الخلقيّة والأدبيّة التي يعرض لها النساء، بجهلهنّ وتهوّرهنّ وباصطناعهنّ الحياة الكاذبة وباتّباعهن للأهواء، وخاصة الطبقة المنهارة منهن – طبقة المتعلمات– ممّا يملأ القلب أسفا وحزنا، هدانا الله لشرعة الإسلام"[3] .

فهذا الكلام من الشيخ تظهر منه علامات الحسرة والألم على ما آل إليه الأمر من الدعوة إلى حريّة تزويج المرأة لنفسها، و بداية ظهور بعض الآثار السلبية لذلك؛ إذ قد تتهوّر المرأة فتتّخذ قرارا للزواج تندم عليه في هذا الباب، بسبب تأثرها بالكلام المعسول والأحلام المصطنعة التي يبنيها لها من يطمع بالزواج منها .

<u>المطلب الخامس</u>: إبراهيم بيوض (ت:1401هـ) :

والشيخ إبراهيم بيوض كان يفسر القرآن شفاهيا ولذلك جاء تفسير بلون التفسير الاجتماعي، وكان يحرص فيه على ربط معاني الآيات التي يفسرها بالواقع الذي يعيشه ويحاول إصلاح ما فسد من مجتمعه، ومما حرص على علاجه الفكر الفاسد الذي دبّ للمجتمع الجزائري من المعلمين وهو فكر: الإلحاد والشوعية الذين شاعا في زمنه، حيث إنه لما فسر قول لقمان لابنه

"**وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ" (لقمان: 13)**، استغل معنى الآية وربطها بواقعه فقال :"وقد جرنا إلى هذا الحديث ما كنا نظنه من أننا لسنا بحاجة إلى أن نتكلم في موضوع

---

[1] تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، ت: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، سنة: 1420هـ – 1999 م . (1/ 476) .

[2] عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم، أحمد شاكر، دار الوفاء و دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: 2، سنة: 1426هـ/2005م . (1/ 286) .

[3] عمدة التفسير في اختصار تفسير الحافظ ابن كثير، أحمد شاكر .(1 /286) .

الإيمان، وتثبته في القلوب، وأن نقول لأولادنا: لا تشركوا بالله كما قال لقمان لابنه، ... لأن الكلام على هذا مرّ قديما فنتجاوزه إلى موضوع آخر، ولكن الأمور تطورت والأحوال تغرت وكان لزاما علينا أن نعود فنبدأ بما بدأ به الرسل إلى الدعوة إلى الإيمان وتقريره في القلوب من جديد، وتحصين القلوب من أن يتطرق إليها شك يتحول بعد ذلك إلى إلحاد صريح، خاصة وهو يتساقط كالمطر في كل مكان، وقد عم كثيرا من شباب المسلمين، فنحن بحاجة إلى هذه الوصية إلى أن يقول كل واحد منا لابنه "يا بني لا تشرك بالله شيئا إن الشرك لظلم عظيم " .

ثم يواصل كلامه فيقول:" أما بالنسبة للعامة والكبار الذين تربوا في حجور أمهات مسلمات وأحضان آباء مسلمين، فنحن مطمئنون من أن يتسرب إليهم مثل هذا الشرك بالله تعالى، وإنما الخوف من تسرب هذا الشرك الأعظم إنما هو على الشباب والأجيال الصغيرة الصاعدة التي تتلقى العلم في مختلف المدارس في مشارق الأرض ومغاربها، على يد مختلف العلماء وكذلك الشرك بإنكار الآخرة وإنكار البعث والجنة والنار، وهذا أيضا مما لانخاف على عجائزنا وعلى شيوخنا لأنهم صبغوا بصبغة الله، ... لكنه يجب ان نتحدث في الموضوع من أجل الشباب الذين هم في طور التعليم، ولما يدخل الإيمان في قلوبهم فيرسخ فيه، هذا من جهة، ومن جهة اخرى عن طريق الصدفة بين يدي معلمين لا يؤمن كثير منهم بالله، وقد تميز هذا العصر(الستيناتو السبعينات) بانتشار الإلحاد بين معلمي المدارس في مشارق الأرض ومغاربها، وأكثر هؤلاء يعتزون بعقولهم ومعارفهم، ويحملون فكرة سئية ضد الدين، يكفرون بالله وبالبعث بل ويسخرون بكل ذلك وينفثون في قلوب الأولاد الصغار الذين لا تزال قلوبهم صفحة بيضاء هذه السموم والضلالات، ومن سوء حظ أحدهم أن يجد نفسه أمام معلم ملحد، ينفث في روعه كل يوم كلمة الإلحاد عن طرق السخرية من الدين والمتدينين... أما في البلدان الإسلامية مثل بلادنا، وإن كانت الدولة إسلامية فإن المعلمين الذين يحملون فكرة الإلحاد ينفثونها في وسط االطلبة بمختلف الوسائل... ولقد كان المعلمون في عهد الدولة المستعمرة يدخلون في أفكار الشباب المسلم السخرية من النبيﷺ وينعتونه باوصاف قبيحة، وكثيرا ما نقل إلينا آباؤنا ما يسمعونه من معلمهم، ولقد صار ذلك الطعن وتلك السخرة في هذا العصر اكثر، لأنهما صارا موجهين إلى الله تعالى إلى اعتقاد وجوده ووحدانيته، وهذه الفكرة أو هذه العقيدة وإن كانت ليست في برامج التعليم ولكنها اصبحت من تطوعات المعلمين الملاحدة وتبرعاتهم في المناسبات التي يختلقونها، أو من غير مناسبة، وهذا ما أصبح شائعا في مختلف مراحل التعليم الثانوي والجامعي منه على الخصوص، وبخاصة أقسام الفلسفة ، والفلسفة من أصعب الفنون، لأنها لا تبحث هذه المواضيع في الكون ومنشئه ومصيره ن ومن كان غير محصن بالدين كل التحصين، فلا بد أن تتسرب إلى قلبه سوسة الإلحاد ... ومن هنا وجب أن تكون هناك نهضة كبيرة لتثقيف الشباب المسلم، وتثبيت اصول الدين في نفوسهم، ومن هنا إذا بدأنا القول وأعدنا الكلام فلأننا مضطرون للتحصين ولاتخاذ سور منيع بين أبنائنا وبين هذه الكفريات وهذا الإلحاد الذي يأتينا من كل جهة، ولقد صار إيمان عجائزنا اليوم أصح من إيمان كثير من الشباب الذين يعدون أنفسهم مثقفين ولكن في قلوبهم شكوك وريب" "[1] .

[1] في رحاب القرآن، تأليف: إبراهيم بن عمر بيوض، ط: 2، جمعية التراث –القرارة – غرداية– ، ص176 .

المطلب السادس: المكي الناصري (ت: 1414هـ):

وقد اختار المكي الناصري أسلوب التفسير الاجتماعي لأن تفسيره كان شفاهيا أراد أن يبسطه للناس، فكان يربط بين معاني الآية وما شاع في الأمة الإسلامية عموما والمجتمع المغربي خصوصا، ومن القضايا التي نزل عليها كلام الله تعالى أنه لما فسر آيات الربا وهي قوله "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ...**" **(البقرة: 278)** ، ذكر خطورته وأن منه صورا معروفة، وصور أخرى معاصرة، فتحدث عن تلك الصور المعاصرة مبينا مساوئها على الأمة ومحذرا منها فقال:" وبناء على ما ذكر نرى أن المسلم يجب عليه أن يتفادى كل معاملة أجمع العلماء على اعتبارها معاملة ربوية محرمة، وفيما عدا المجمع على تحريمه من المعاملات ينبغي من باب الاحتياط والبعد عن التشهي أن يلتزم المسلم فيها مذهب إمامه، فما هو ممنوع تركه، وما لا منع فيه استباحه لنفسه .

أما الصور الجديدة والمعقدة من المعاملات التجارية والمالية التي ظهرت في العصر الحديث والتي لم يسبق لها نظير، ولم يفت فيها الأئمة والعلماء بحكم سابق، حيث لم تكن متعارفة ولا معهودة في وقتهم، فإن الواجب يقضي بإعمال النظر فيها طبقا لمقاصد التشريع وأصوله الثابتة، وتمييز ما يندرج منها تحت اسم الربا وفي حقيقته، حتى يعلم المسلمون قاطبة حكم الله في شأن المعاملات الربوية الحديثة، كما عرفوا حكم المعاملات الربوية القديمة.

وفي نظرنا أن هذا الموضوع الحيوي الخطير يجب أن يتم النظر فيه على أساس اجتهاد فقهي جماعي يشترك فيه علماء الإسلام المعاصرون، ثم تعلن نتيجته على رؤوس الملأ في العالم الإسلامي كله، إنقاذا للشعوب والدول الإسلامية من حيرتها الاقتصادية، وتوجيهاً لمنظماتها التجارية والمالية، ليهلك من هلك عن بيّنة، ويحيا من حيي عن بيّنة" [1] .

خاتمة:

الحمد لله وبعد؛ فبعد هذه الرحلة مع التفسير الاجتماعي وتنزيلات المفسرين للآيات القرآنية على الواقع، توصلت إلى عدة نتائج أهمها:

أ- التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم لون من ألوان التفسير التي ظهرت بشكل واضح في العصر الحاضر وإن كانت له جذور قديمة، وقد دعت لظهوره الظروف التي استجدت للأمة بسبب الاستعمار وتفتح أمة الإسلام على العالم الخارجي .

ب- التفسير الاجتماعي للقرآن الكريم، لون يمكن به مواكبة كلّ المتسجدّات التي تظهر في الأمة، لأنه يعتمد على ربط النص القرآني بالواقع الذي يعيشه المفسر ، فيحاول من خلاله حلّ المشاكل في ضوء الآيات القرآنية .

[1] التيسير في أحاديث التفسير، تأليف: محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت – لبنان، ط: 1، سنة: 1405 هـ – 1985 م . (1/ 192) .

ج- قضية تنزيل الآيات القرآنية على الواقع مما تزيد القرآن تعظيما، لأنها تفتح باب الاستنباط من معاني القرآن، وتبيّن أنه كتاب حيٌّ يُصلِح كلّ زمان مهما كانت أحواله بشرط حسن التدبّر والاستنباط .

د- برزت عدة تفاسير معاصرة أحيا بها أصحابها معاني القرآن وأصلحوا مجتمعاتهم من خلال آياته، لمّا أحسنوا توصيف الداء وطريقة الدواء، فكان لتفاسيرهم تلك القبول في الأمة، وأثرٌ في نفوس أبنائها .

هـ- باب تنزيل القرآن على الواقع لا يزال مفتوحا إلى يوم القيامة ، لكن لا يلجه إلا من كان مؤهلا له حتى لا يسيء وهو يريد الإصلاح .

و- ينبغي لكلّ من تصدى لتفسير القرآن الكريم أن ركز على أمراض الأمة ويحاول إيجاد الحلول لمشكلاتها من آيات الذكر الحكيم .

قائمة المصادر والمراجع:

1 الاتجاه الاجتماعي في التفسير ودوره في تأصيل العلوم الاجتماعية ، الدكتور مولاي عمر بن حماد، مقال منشور في ملتقى أهل التفسير .بتاريخ: 2008/02/23 .

2- اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر،د: فهد بن عبد الرحمن الرومي، طبع بإذن رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية برقم 951/ 5 وتاريخ 1406/8/5، ط: 1، سنة: 1407هـ- 1986م .

3- تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، د: صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، سنة: 1429هـ/2008 .

4- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، تأليف:محمد رشيد بن علي رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: 1990 م .

5- تفسير القرآن العظيم، تأليف: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، ت: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: 2، سنة: 1420هـ - 1999 م .

6- تفسير المراغي، تأليف: أحمد بن مصطفى المراغي، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1، سنة: 1365 هـ - 1946 م .

7- التفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبى، ناشر الكتاب: وزارة الأوقاف السعودية، سنة النشر: 1431 - 2010.

8- تنزيل الآيات على الواقع عند المفسرين -دراسة وتطبيق-، عبد العزيز الضامر، ط:1، سنة: 1428هـ/2007م، بيروت .

9- التيسير في أحاديث التفسير، تأليف: محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط: 1، سنة: 1405 هـ - 1985 م .

10- العلامة الشيخ محمد عبده و الإتجاه الإجتماعي فى تفسير المنار الدكتورة معصومة حسيني ميرصفي*، ، مقال منشور في موقع "تقريب"، بتاريخ: ١١ كانون الأول ٢٠١١ .

11- عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير مختصر تفسير القرآن العظيم، أحمد شاكر، دار الوفاء و دار ابن حزم، بيروت – لبنان، ط: 2، سنة: 1426هـ/2005م .
12- في رحاب القرآن، تأليف: إبراهيم بن عمر بيوض، ط: 2، جمعية التراث –القرارة – غرداية- .
13- في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، المؤلف: عبد الحميد محمد بن باديس، حققه وعلق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، سنة: 1416هـ/ 1995م .